هل الاسلام رسالة خاصة بالعرب؟

الأستاذة: بوالبرد عة صليحة
جامعة تلمسان

مقدمة

توجه للإسلام شبهات كثيرة من بينها القول بخصوصيته للعرب فقط لذا يجب أن يوقف انتشاره؛ لكن هذا بهتان وتلفيق سيتم بيانه من خلال هذه المداخلة.

لقد بعث الله سبحانه وتعالى النبي العربي الأمي لكل البشرية هاديا وجامعا لها تحت راية واحدة هي راية الإسلام والأدلة المثبتة لعموم الرسالة كثيرة ومتعددة وهي:

أولا: الأدلة النقليـة:

أ–من القرآن الكريم:

إن المستقرئ للقرآن الكريم يجد آيات مباشرة في الدلالة على أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– بعثه الله عز وجل لكل البشر، كما احتوى القرآن أيضا على نصوص أخرى تحمل مفهوم العالمية.

ومثال النصوص المباشرة قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾(1).

يقول الفخر الرازي أن الآية «تدل على أن محمدا عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى جميع الخلق»(2).

وقال ابن كثير(*): «يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– يا محمد: قل "يا أيها الناس" وهذا خطاب للحمر والسود والعرب والعجم "إني رسول الله إليكم جميعا" أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته –صلى الله عليه وسلم– لأنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة»(3).

---

(1)–سورة الأعراف: 158.

(2)–محمد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج15، مج8، مرجع سابق، ص29.

(*)–ابن كثير: هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بم كثير بن ضوء بن كثير بن درع الدمشقي، الشافعي، محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه، ولد سنة إحدى وسبعمائة وقيل سبعمائة، من تصانيفه: مختصر علوم الحديث لابن الصلاح، وجامع المسانيد، والبداية والنهاية،...توفي سنة أربع وسبعين وسبعامئة. «أنظر: أبو المحاسن الحسيني الدمشقي، ذيل تذكرة الحفاظ، بروت، دار الكتب العلمية، ج5، ص57-59ن والنجوم الزاهرة، ج11، ص123. وشذرات الذهب، ج6، ص231».

(3)–أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص265.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾[1].

وقال تعالى أيضا: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾[2].

أما الآيات غير المباشرة الدالة على عموم الرسالة فيقسمها عبد الحليم محمود إلى ما يأتي[3]:

1-آيات يخاطب بها جميع الناس: كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾[4].

2-آيات جاء الخطاب فيها للإنسان: كقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾[5].

3-آيات جاء الخطاب فيها بلفظ عبد أو عباد: كقوله تعالى: ﴿ ۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ٥٠﴾[6].

(1)-سورة سبأ: 28.

(2)-سورة الفرقان: 01.

(3)-أنظر" عبد الحليم محمود، عالمية الدعوة الإسلامية، مكتبة عكاظ، المملكة العربية المتحدة، ج1، ط3، (1406هـ-1984م)، ص165 -204.

(4)-سورة فاطر: 5.

(5)-سورة العصر: 1-3.

(6)-سورة الحجر: 49-50.

4-الآيات التي جاء الخطاب فيها بلفظ "يا بني آدم": كقوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾(1).

5-آيات جاء الخطاب فيها بلفظ العالمين: كقوله تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾(2).

6-آيات جاء الخطاب فيها بلفظ البشر: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾(3).

7- آيات جاء الخطاب فيها بلفظ نفس: كقوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾(4).

8- آيات جاء الخطاب فيها بلفظ "الإنس والجن": كقوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ

(1)-سورة يس: 60-62.

(2)-سورة التكوير: 27-29.

(3)-سورة المدثر: 5 3-37.

(4)-سورة الشمس: 7-10.

ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾(1).

9- آيات جاء الخطاب فيها بلفظ "المشرق والمغرب": ومنه قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾(2).

10-آيات جاء الخطاب فيها بلفظ "السموات والأرض": كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾(3).

11- آيات جاء الخطاب فيها بلفظ "الأولين والآخرين": كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾(4).

12-آيات جاء الخطاب فيها بلفظ "أمة وأمم": كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم

(1)-سورة الذاريات: 55-60.

(2)-سورة الرحمن:17-18.

(3)-سورة مريم: 93-95.

(4)-سورة الواقعة: 49-56.

بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾[1].

وكقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾[2].

13-آيات جاء الخطاب فيها بلفظ "من": كقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾[3].

وقوله تعالى:﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[4].

14- آيات جاء الخطاب فيها بلفظ "الذي والذين": كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[5].

---

(1)-سورة النمل: 83-85.

(2)-سورة النساء: 41-42.

(3)-سورة الأعلى: 9-10.

(4)-سورة الكهف: 29.

(5)-سورة الأعراف: 40.

15-آيات جاء الخطاب فيها بلفظ "أهل القرى": كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[1].

16-آيات جاء الخطاب فيها بلفظ "البرية": كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾[2].

17-آيات جاء الخطاب فيها بلفظ: "من": كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[3].

ب-من السنة الشريفة:

لقد وردت أحاديث كثيرة تبين عموم رسالة الإسلام منها حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- والذي يؤكد فيه تفرده بذلك حيث قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة»[4].

---

(1)-سورة الأعراف: 96.

(2)-سورة البينة: 6-7.

(3)-سورة القمر: 22.

(4)-سبق تخريجه.

وفي حديث آخر مشابه يقول: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[1].

وفي حديث آخر خص بالذكر اليهود والنصارى فقال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[2].

وفي رواية أخرى: «من سمع بي من أمتي من يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة»[3].

ثم يعمم «أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله عز وجل بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام» [4].

وجعل الرسول –صلى الله عليه وسلم-يمحو به الكفر ويحشر الناس تحت قدميه فقال: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى به

---

(1)-رواه ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب، (60/3)، «523».

(2)-رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (464/1)، «159».

(3)-رواه أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري، (396/4). ورواه الهندي في كنز العمال، باب في لواحق الإيمان، فصل المتفرقات، (268/1)، «1349».

(4)-رواه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب العلم، باب الفتن، (362/11)، «20747».

الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي»[1].

إن الإسلام هو دين كل الأنبياء تتحد العقيدة عندهم وتختلف الشرائع، والشريعة الإسلامية هي الأحق بالإتباع لكمالها فقد ذكر الرسول –صلى الله عليه وسلم– «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تصدقوا الباطل وإما أن تكذبوا الحق وإنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني –وفي بعض الأحاديث– لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي»[2].

كما تنبأ الرسول –صلى الله عليه وسلم– وصول الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها مما يؤكد عالميته فقال: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها»[3].

(1)–رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى من بعدي اسمه أحمد، مج3، ج6، ص62. ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في أسمائه، (114/8)، «2354».

(2)–رواه أبو يعلى في المسند، (102/4)، «2135». وعبد الرزاق في مصنفه، كتاب المغازي، باب مسألة أهل الكتاب، (111/6)، «10162».

(3)–رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، (240/9)، «2889».وأبو داود في السنن، أول كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، (97/4)، «4252».

كما قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزا ويذل ذليلا، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر»(1).

ولقد دعا الرسول –صلى الله عليه وسلم- أهل الكتاب ومنه ما رواه عدي بن حاتم قال: «دخلت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فقال: «يا عدي أسلم تسلم» فقلت إني من أهل الدين قال: «أنا أعلم بدينك منك» فقلت أنت أعلم بديني مني؟ قال: «نعم ألست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟»؛ قلت بلى قال: «فإن هذا لا يحل لك في دينك» قال فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، قال: «أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب أتعرف الحيرة؟» قلت لم أرها وقد سمعت بها. قال:»والذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز» قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «نعم كسرى بن هرمز: وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد» قال عدي هذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن

(1)-رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، (247/8)، «6666». (ذكر البيان باب المراد من هذا الخبر إذ قال الله كلمة الإسلام بيوت المدر والوبر لا الإسلام كله).

هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن الرسول —صلى الله عليه وسلم–قد قالها»[1].

وعن دعوته —صلى الله عليه وسلم– اليهود ما رواه مالك بن أنس —رضي الله عنه–أن غلاما يهوديا كان يضع للنبي —صلى الله عليه وسلم– وضوءه ويناوله نعليه فمرض فأتاه النبي —صلى الله عليه وسلم– فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: «يا فلان قل لا إله إلا الله» فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبي –صلى الله عليه وسلم– فنظر إلى أبيه فقال أبوه أطع أبا القاسم فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فخرج النبي —صلى الله عليه وسلم–وهو يقول: «الحمد لله الذي أخرجه لي من النار»[2].

ولم تقتصر دعوته —صلى الله عليه وسلم– لمن حوله من أهل الكتاب، بل أرسل كتبا لملوك ذلك الزمان يدعوهم فيها للإسلام منهم من أجابه ومنهم من رفض فقد أرسل كتابه إلى هرقل ملك الروم، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني بدمشق، وإلى المقوقس عظيم القبط وغيرهم كثير فقد جاوزت كتبه الخمسين كتابا[3]. بالإضافة إلى الوفود التي جاءت لمبايعته كوفد نجران.

ومن بين نصوص رسائله نذكر على سبيل التمثيل رسالته إلى هرقل جاء فيها:

---

(1)–رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، (239/8)، «6644». (ذكر الأخبار عن فتح الله جل وعلا على المسلمين كثرة الأموال).

(2)–رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب السير، باب الذمي والجزية، (194/7)، «4865».

(3)–أنظر: عبد الحليم محمود، عالمية الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ج2، ص475.

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]»[2].

ثانيا: من خلال خصائص الإسلام:

لقد اقتضت الإرادة الإلهية أن يكون محمد –صلى الله عليه وسلم- آخر نبي، وهذا يقتضي عموم رسالته لكل البشر فكما يقول العقاد: «فالعقل لا يستسيغ خاتمية رسالة الإسلام إذا كان مقصورا على العرب.»[3]

فالبشرية خلال تعاقب أجيالها نضجت فكريا لتتقبل شريعة واحدة هي شريعة الإسلام، فرغم أن الأنبياء جاءوا كلهم بعقيدة واحدة هي التوحيد، إلا أن التشريعات اختلفت بما يتلاءم وخصوصية أقوامها، قال تعالى: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[4].

ثم جاء الإسلام شاملا ومهيمنا على الديانات الأخرى السابقة له؛ إذ حان الوقت لشريعة جامعة لكل البشر تجمعهم في إطار الأمة الواحدة، والمنهج الواحد

---

(1)–سورة آل عمران: 64.

(2)–سبق تخريجه.

(3)–أنظر: العقاد، الإسلام دعوة عالمية، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص131. وأنظر سيد قطب، في ظلال القرآن،مرجع سابق، ج9، ص1379.

(4)–سورة الشورى: 13.

ومقاييس الثواب والعقاب الواحدة، «فمن المنطقي أن تبدأ الأديان بالديانات الجغرافية والديانات العنصرية أو البيئية، ثم تنتهي أو تختم بالدين العالمي الإنساني وهو الإسلام.»(1)

إن الشريعة الإسلامية واسعة تلبي كل حاجات الإنسان، كما أنها ناسخة للشرائع السابقة «لأن كل دعوة قبلها جاءت لتعالج ناحية من نواحي حياة الإنسان فجاءت الموسوية لعلاج الوثنية، وتحويل الناس إلى توحيد الله، وجاءت العيسوية،وقد أصبح الناس ماديين ولا شيء يقدسونه إلا المادة فاهتمت ديانة عيسى بالناحية الروحية والأخلاق وغرست في نفوس أتباعها مزيدا من التسامح والوداعة والرحمة، ثم جاءت المحمدية وقد استوت البشرية على حال تحتم عليها أن تسير في طريق يؤدي إلى دين متكامل الجوانب يعالج مشكلات الحياة كلها ويرسم لها الحل السماوي السوي الذي لا حل سواه.»(2)

كما تستشف عالمية الإسلام من واقعيته في مزاوجته بين خير الدين والدنيا، بين الروح والمادة، فلا تعارض ولا تناقض بينهما مما يولد طمأنينة وتوازنا نفسيا واجتماعيا من خلال الحياة اليومية للفرد والجماعة المسلمة. ثم إن التكامل بين العقيدة والمتطلبات السلوكية والعبادية هي«تنمية للإنسان وشحن لأحاسيسه، وتربية لنفسه، ورياضة لروحه،وضميره لتكون ثمرة أعماله طيبة وليكون ذلك عربونا لصداقة ناجحة

(1)-علي عبد الحليم محمود، عالمية الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص415.

(2)-المرجع نفسه، ص443.

وصفقة رابحة في عالم الخير، والحب والجزاء...عالم الديمومة الكبرى والحياة الباقية الخالدة.»[1]

فهذه الوسطية المنصوص عليها في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2] قاعدة جامعة تتسم بها حياة المسلم في تميز واضح عن بقية الأديان المحصورة ضمن حيز جغرافي، فالمسلمون «وسط بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية والمنافع المادية كاليهود، والذين تغلب عليهم التعاليم الروحية، وتعذيب الجسد وإذلال النفس والزهد كالهندوس والنصارى، وإن خالف هذه التعاليم أكثرهم.»[3]

إنَّ المرونة التي تتسم بها فروع الشريعة دون أصولها، ومواءمتها لتغيرات الأحوال والظروف والأزمنة والأمكنة، يؤكدان حيوية الإسلام وتجدده ومن ثمة صلاحيته لكل الأزمنة والأمكنة، فلا يمكن أن يتجاوزه العصر، فديمومة تشريعاته تبنى على أساس أن الفروع تستند على الأصول رغم تجددها، وفي هذا تأكيد على عدم انحصار هذه الرسالة الخاتمة ضمن الإطار الجغرافي لشبه الجزيرة العربية كما يدعي البعض، فهذه الحيوية المبنية على أصول ثابتة تؤكد صلاح هذا الدين لكل الأجناس والألوان والعصور، مهما اختلفت البيئات فما يصلح للعربي يناسب الأعجمي وهكذا.

---

(1)-السيد عبد الحافظ عبد ربه، الثورة الاجتماعية والإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1980م، (د.ط)، ص78.

(2)-البقرة: 143.

(3)-علي عبد الحليم محمود، عالمية الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص444.

إن الشرائع السابقة هيأت البشرية لتلقي خاتمة الرسالات والشرائع، إن «خاتم النبيين لابد أن تكون شريعته خاتمة للشرائع التي قبلها ومتممة لها ومكملة لما بها من نقص»(1).

ثالثا: الرد على من قال بخصوصية رسالة الإسلام:

من المعلوم أن اليهود والنصارى ينكرون نبوة الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولكن بعضهم يثير شبهة خصوصية الإسلام للعرب فقط ونوردها فيما يأتي:

أ– تخصيص العرب بالدعوة إلى الإسلام:

تقر فرقة العيسوية(*) اليهودية بنبوّة الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولكن تدعي تخصيص الرسالة الإسلامية بالعرب، وأنها غير ناسخة لشريعة موسى –عليه السلام–(2).

إن ادعاءهم هذا لا يستقيم فإن صدقوه –صلى الله عليه وسلم– فيما ذكره بأنه نبي يلزمهم تصديقه بأنه مبعوث لكل الناس، إذ لا يستقيم أن يصدقوه في أمر

---

(1)–المرجع نفسه، ص456.

(*)–هي فرقة يهودية وهم أتباع عيسى الأصفهاني. أنظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج15، مرجع سابق، ص29.

(2)–أنظر: الفخر الرازي، المرجع السابق، ص 29. / وانظر: عبد الفتاح عبد الله بركة، شرح السنوسية الكبرى لأبي عبد الله السنوسي، ج2، دار القلم، الكويت، (1402هـ–1982م)، ص374./ وانظر: البغدادي الإسفرائيني، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (1411هـ–1990م)، ص12.

دون آخر فهذا تناقض[1] ثم أن قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ ﴾[2] خطاب لكل الناس وهذا يرد ادعاءهم[3]، كما أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– «قد دعا اليهود والنصارى إلى الإيمان به، وكفرهم إذا لم يؤمنوا به، وجاهدهم وقتل مقاتلهم،وسبى ذراريهم، كان ذلك ظلما لا يفعله إلا من هو من أظلم الناس ومن كان نبيا قد أرسله الله فهو منزه عن هذا وهذا»[4].

أما إن قالوا إنهم يكذبون المسلمين فيما نقلوه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– فالقول مردود أيضا لأنه إن صدقنا كذب الأمة على الرسول –صلى الله عليه وسلم– في عموم الرسالة الإسلامية فهذا يولد تكذيبها في كل ما أخبرت عنه –صلى الله عليه وسلم–، وأيضا جاز تكذيب اليهود فيما نقلوه عن نبيهم وتكذيب كل الأخبار والسير المنقولة وهذا ما لا يقرونه وبالتالي فما نقله المسلمون عن الرسول –

---

(1)–أنظر: عبد الفتاح عبد الله بركة، المرجع السابق، ص376./ وانظر: القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، (1408هـ–1988م)، ص583.

(2)–سورة الأعراف: 158.

(3)–أنظر: الفخر الرازي، المرجع السابق، ص29.

(4)–أبو العباس تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،مج1، ج1، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ط1، (د.ت)، ص191.

صلى الله عليه وسلم- صحيح، فلا يستقيم أن تصدق السير والأخبار ونكذب ما نقل عن النبي —صلى الله عليه وسلم-[1].

وفي رسالة جاءت على لسان أحد النصارى[2] -رد عليها القرافي- القول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث للعرب فقط واستند على آيات قرآنية [3] وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[4] وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[5] وقوله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[6].

ولكن هذه الآيات لا تنكر عموم الرسالة من وجوه:

(1)-أنظر: أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل،مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان،ط1، (1407هـ-1987م)، ص218-219.

(2)-أنظر: شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي(المعروف بالقرافي)، الأجوبة الفاخرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1406هـ-1986م)، ، ص3.

(3)-المرجع نفسه، ص9.

(4)-سورة الجمعة: 02.

(5)-سورة القصص: 46.

(6)-سورة الشعراء: 214.

1-ورود آيات أخرى تفيد العموم منها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] ولا تعارض بين ما يدل

على الخصوص وما يدل على العموم «فإن تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور مخالف وهذا الذي يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب»[2].

والسبب الذي اقتضى تخصيص العرب بالذكر هو إظهار المنة، قال القرافي: «ولما كان المقصود إظهار المنة على العرب خصوا بالذكر»[3].

2-أن القارئ للآيات لا يفهم منها نفي العموم، إنما يفهم منطوق اللفظ على حسب ما جاء فقوله تعالى ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ (الجمعة: 03) «لا يقتضي أنه لم يبعث لغيرهم»[4] وإنما يعني أن الله اصطفى رسولا من العرب[5].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (يس: 06)، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (الشعراء:

---

(1)-سورة سبأ: 28.

(2)-فرج الله عبد الباري، نقض دعوى عالمية النصرانية، دار الآفاق العربية، القاهرة،ط1، 2004م، ص122.

(3)-القرافي، الأجوبة الفاخرة، مرجع سابق ، ص11.

(4)-المرجع نفسه ، ص11.

(5)-أنظر: المرجع نفسه، ص11.

214) لأن قرابته -صلى الله عليه وسلم- «أولى الناس ببره عليه السلام وإحسانه، وإنقاذه من الهلكات، فخصهم بالذكر كذلك.» [1]

3-أن الآيات تحمل على محمل التدريج في الدعوة حتى يمكن لها جاء في الميزان: «بل كان من الواجب في الحكمة أن يبدأ الدعوة بالبعض وأن يكون ذلك البعض هو قوم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-ثم يظهر بركوز الدين فيهم على غيرهم وهكذا كان»[2].

والسيرة تؤكد أسلوب التدرج في الدعوة، فأول ما ابتدأ به الرسول -صلى الله عليه وسلم- دعوة أهل بيته خديجة -رضي الله عنها- وعلي -كرم الله وجهه-، ثم أصحابه فكان أول من أجابه منهم أبو بكر الصديق، ثم جاء الأمر الإلهي بمخاطبة قومه فقال عز وجل: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[3] «فعن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- الصّفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه» فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني» قالوا: نعم، قال: «فإني نذير بين يدي عذاب شديد» فقال أبو

(1)-المرجع نفسه، ص12.
(2)-الطبطبائي، الميزان، مرجع سابق، ج4، ص165.
(3)-سورة الشعراء:214.

لهب:لعنة الله، تبا سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا وأنزل الله عز وجل : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾[1]»[2].

ثم جاء الأمر الإلهي بتوسيع دائرة المدعوين فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝﴾[3] ثم اتسعت الدائرة ليتجه الخطاب لكل الناس

فقد دعا الرسول –صلى الله عليه وسلم– اليهود في المدينة وآمن به أشخاص من غير العرب وهم سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي[4]، كما دعا ملوك عصره.

ولا تناقض بين الآيات الخاصة بالعرب والآيات العامة فهي من قبيل التدرج في الدعوة فقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾[5] آية مكية من سورة مكية[6] أي أنها نزلت في العهد الأول من البعثة النبوية.

ب–الاستدلال على خصوصية الإسلام لنزوله باللغة العربية:

---

(1)–سورة المسد: 01.

(2)–أبو الفداء إسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الفكر، بيروت، ج1، ط2، (1398هـ–1978م)، ص456.

(3)–سورة الشورى:07.

(4)–أنظر: الطباطبائي، الميزان،مرجع سابق، ص165–166.

(5)–سورة الأعراف: 158.

(6)–أنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن،مرجع سابق، ج3، ص1379.

قالوا جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ ﴾[1]
وقوله أيضا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [2].

وهذا يؤكد أن رسول الله —صلى الله عليه وسلم– بعث للعرب فقط فالقرآن نزل باللغة العربية لذا فهو غير ملزم لليهود والنصارى كالتوراة والإنجيل[3].

إن هذا القول مردود من وجهين:

1–أن التوراة والإنجيل لم ينزلا بنفس اللغة، فالتوراة نزلت بالعبرية، أما الإنجيل فباللغة الرومية ولولا الترجمة لما فهمت الأقوام الأخرى التي وصلتها المسيحية شيئا من الكتاب كأهل الحبشة وغيرهم[4].

وحسب هذا المنطق فلا يمكن أن توجد رسالة عالمية، والحجة تقام عليهم فالاحتجاج «باختلاف اللغة بين الدين وبين من يدعو إليه حجة على النصارى لأن المنصرين يدعون شعوب العالم إلى النصرانية على الرغم من اختلاف بين اللغة التي تكلم بها المسيح ولغة الذين يدعون إلى النصرانية»[5].

(1)–سورة يوسف:2

(2)–سورة إبراهيم: 4.

(3)–القرافي، الأجوبة الفاخرة، مرجع سابق، ص9.

(4)–أنظر: القرافي، الأجوبة الفاخرة، مرجع سابق، ص10–11.

(5)–فرج الله عبد الباري، نقض دعوى عالمية النصرانية، مرجع سابق، ص129.

إن ادعاء تخصيص الإسلام بالعرب كونه نزل باللغة العربية يفضي إلى القول أنه «يمنع بذلك أن توجد في العالم دعوة عالمية –إنسانية– على الإطلاق أو يفترض فيمن كان يرسل بهذه الدعوة أن ينطق بألسنة الناس أجمعين»[(1)] وهذا أمر مستحيل.

2–أن الله سبحانه وتعالى تعلقت إرادته أن يكون خاتم النبيين عربيا. ومن المنطقي أن ينزل القرآن الكريم بلغة القوم الذين بعث فيهم الرسول وإلا لتعذر الفهم واستحال «فإن مقصود الرسالة في أول وهلة إنما هو البيان والإرشاد وهو مع اتحاد اللغة أقرب «...» فإذا تقررت نبوة النبي في قومه قامت الحجة على غيرهم»[(2)].

أما غير العرب فبإمكانهم الاستعانة بترجمات معاني القرآن الكريم[(3)] أو تعلم اللغة العربية التي تعتبر إحدى مقومات الأمة الإسلامية وبها تحصل الوحدة بين مختلف الأجناس [(4)].

إن تعلم اللغة العربية وتعميم تعليمها في كل أقطار العالم الإسلامي تزيد من تمسك الناس بدينهم وفهمهم له، إذ الإسلام دين حضارة تسع كل حياة الفرد والمجتمع وبهذا يحصل تبني لغة الإسلام بشكل تلقائي «إذ يكون المؤمنون مسوقين

---

(1)–عباس محمود العقاد، الإسلام دعوة عالمية، مرجع سابق، ص130.

(2)–القرافي، الأجوبة الفاخرة، مرجع سابق، ص10.

(3)–انظر: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، (1411هـ–1991م)، ص55.

(4)–أنظر: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، دار الكتب، الجزائر، (د.ط)، 1989م، ص198.

باعتقادهم ووجدانهم إلى معرفة لغة كتاب الله وسنة رسوله لفهمهما والتعبد بهما، والاتحاد بإخوتهم فيها وهما مناط سيادتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة»[1].

إن تعلم اللغة العربية لا يعني إلغاء لغات الشعوب أو هوياتهم بل هو إثراء لها وتاريخ الأندلس خير شاهد على غنى اللغة الإسبانية بما دخلها من ألفاظ عربية، والأصل ما قاله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[2].

إذ أن الاختلاف سنة إلهية عبر عنها قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩ ﴾[3].

وحتى وإن افترضنا جدلا أن الرسول –صلى الله عليه وسلم- بعث للعرب خاصة لنزول القرآن باللغة العربية، فإن الدعوة تشمل أيضا أصحاب الديانات الأخرى (المسيحية، واليهودية) من العرب وهنا يكمن الإشكال كيف يدعى مسيحيو ويهود العرب دون غيرهم من الأجناس الأخرى؟ وهكذا لا تستقيم حجتهم.

أما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[4] فلا أساس له لأنه فرق بين القول "وما أرسلنا من رسول إلا لقومه" وهذا يفيد

(1)-المرجع نفسه، ص198.

(2)-سورة الحجرات: 13.

(3)-سورة هود: 119.

(4)-سورة إبراهيم: 4.

الاختصاص لوجود الاستثناء، وبين نص الآية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ أي أن القرآن نزل بلغة العرب وهذا لا يستثني دعوة غيرهم[1].

ج-الاستدلال على خصوصية الإسلام بأن الرسول-صلى الله عليه وسلم- لم ينشر الإسلام خارج الجزيرة:

يدعي المستشرقون بأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يفكر في نشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية، وأن عمر بن الخطاب هو من نشر الإسلام وأوصله إلى الأجناس الأخرى[2]، ولكن الثابت -كما سبق بيانه- أنه عليه الصلاة والسلام قد بعث كتبا لملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام وهم خارج حدود الجزيرة العربية، كما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قاتل الروم في غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة[3] وغزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة[4].

وبعد كل هذا الإثبات التاريخي لا يسعنا إلا أن نردد ما قاله العقاد: «إن ضخامة الخطأ مع سهولة العلم بالصواب خليقة أن تفتح باب الاتهام في سلامة القصد قبل الإتهام في سلامة التفكير»[5].

---

(1)-أنظر: القرافي، الأجوبة الفاخرة، مرجع سابق، ص10.

(2)-أنظر: عباس محمود العقاد، الإسلام دعوة عالمية، مرجع سابق، ص127.

(3)-أنظر: أبو محمد عبد الملك بن هشام، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، مج3، ص427.

(4)-المرجع نفسه، ج4، ص169.

(5)-عباس محمود العقاد، الإسلام دعوة عالمية، مرجع سابق، ص127-128.

إذا فالقضية تكمن في سوء النية والقصد اللتان وجهتا أبحاث هؤلاء المستشرقين، الذين لا يرون من الحقيقة غير ما يريدون رؤيته، فتعصبهم وتحاملهم على الإسلام شل تفكيرهم واستعبدهم هواهم[1] فحادوا عن المنهج العلمي في البحث وتقصي الحقائق.

رابعا: أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية:

يتحدث المسلمون عن أخبار كثيرة وردت في التوراة والإنجيل تعلم بقدوم الرسول —صلى الله عليه وسلم–ولكن هذه النصوص العديدة الواردة لدى اليهود والنصارى يعطونها تفسيرات تختلف عن تلك التي يفسرها بها علماء الإسلام، ولكن سنورد بعضا من التي أوردها أحد أساتذة اللاهوت الذين أسلموا وهو "**عبد الأحد داود**"[*] أو "دافيد بنجامين كلدانِ" وهذا من قبيل شهادة أهل الاختصاص الديني عندهم وهي على سبيل التمثيل لا الحصر:

أ–الدلائل من خلال التوراة:

(1)–أنظر: فرج الله عبد الباري، نقض دعوى عالمية النصرانية، مرجع سابق، ص134.

(2)–عبد الأحد داود: هو عبد الأحد داود كبير الكهنة اسمه الأصلي دافيد بنجامين كلداني، أستاذ اللاهوت وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدان ولد عام 1867م قرب أروميا في إيران، اعتنق الإسلام عام 1904م بعد مناظرات مع شيخ الإسلام جمال الدين أفندي وغيره من علماء المسلمين في تركيا. «انظر: عبد الأحد داود، محمد —صلى الله عليه وسلم–كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، مكتبة الكبيكان، الرياض، ط1، (1418هـ-1997م).

1-جاء في سفر التثنية «جاء نور الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس، والشريعة المشعة بيده اليمنى»[1].

إن المقصود بلفظ "فاران" جبال مكة والذي سكن مكة ليس اليهود، بل العرب الذين هم من نسل إسماعيل ومنه محمد —صلى الله عليه وسلام- «لقد تزوج إسماعيل امرأة مصرية (سفر التكوين 21/21) ومن ولده الأول قيدار انحدر أحفاده العرب الذين سكنوا قفار (فاران) وكان منهم محمد الذي دخل مكة مع عشرة آلاف قديس (مؤمن) وجاء بنور الشريعة إلى شعبه، لقد تحققت تلك النبوءة في محمد حرفيا»[2].

2-جاء في سفر حجي «وسوف أزلزل كل الأمم وسوف يأتي (حِمْده) لكل الأمم وسوف أملأ هذا البيت بالمجد كذلك قال رب الجموع، لي الفضة، ولي الذهب هكذا قال رب الجموع، وإن مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، هكذا قال رب الجموع، وفي هذا المكان أعطى الـ(شالوم)، هكذا قال رب الجموع»[3].

---

(1)-التثنية: 2/33.

(2)-عبد الأحد داود، محمد —صلى الله عليه وسلم- كما ورد في كتاب اليهود والنصارى، ترجمة محمد فاروق الزين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، (1418هـ-1997م)، ص21.

(3)-سفر حجي: 9/7-9.

إن في الكتب المتداولة ترجمت كلمتي (حِمْده) و(شالوم) بـ(الأمنية) و(السلام) وعلى هذا فإنهم يفسرون (حمده) بالنبوءة المسيحية[1] مما يبتعد عن المعنى الصحيح «ولكن لو فهمنا من كلمة حمده أنها شخصية حقيقية ومن كلمة (شالوم) أنها ديانة منزلة وقوة فعّالة، عندئذ تصبح هذه النبوءة صادقة ومتحققة في شخصية أحمد ودين الإسلام لأن (حِمْده) و(شالوم) تؤديان بدقة معنى كلمتي (احمد) و(الإسلام)» [2].

3-جاء في سفر دانيال «إن المملكة والسلطان تحت كل السماء سوف تعطى لعباد الله تعالى وأوليائه، وسيكون الملكوت أبديا بخدمه يطيعه الجميع»[3].

إن هذه المملكة أعطيت لعبادة الله تعالى وأوليائه هذه الصفة التي لم تتحقق في الأقوام السابقة، فرغم أن الإسلام هو دين كل الأنبياء إلاّ أن الناس سرعان ما انحرفوا عن عقيدة التوحيد فأشركوا بالله تعالى[4].

فاليهود يقولون عزير بن الله والنصارى بأن المسيح ابن الله، وأن الله ثالث ثلاثة (الأب، الابن، وروح القدس). قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[5].

---

(1)-أنظر المرجع السابق، ص37.

(2)-المرجع نفسه، ص37.

(3)-دانيال: الإصحاح: 22/7-27.

(4)-أنظر: المرجع السابق،من ص116-120.

(5)-سورة التوبة: 30.

إذًا فالأمة الوحيدة الباقية على توحيد الله تعالى هي أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– وهي التي تجلت فيها صفة المملكة والسلطان بالدولة التي أقامها الرسول –صلى الله عليه وسلم– ومن بعده الخلفاء الراشدون وفي هذا يقول عبد الأحد داود: «وقد دلت هذه النبوءة بوضوح أن الدين الإسلامي الذي اكتملت رسالته بخاتم الأنبياء ليس مجرد دين منفصل عن الدولة وإنما هو دين ودولة معا لأنه مملكة الله في أرضه»[1].

ب–الدلائل من خلال الإنجيل:

1–جاء في إنجيل متى «أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة وغفران الخطايا، ولكن هناك شخص قادم بعدي أقوى مني لدرجة أنني لا أستحق حل رباط حذائه، وهو يعمدكم بالروح والنار»[2].

إن الذي أخبر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي يحي لا يمكن أن يكون عيسى عليه السلام لعدة اعتبارات هي[3]:

«*–جاء في النص كلمة "بعدي" وعيسى عليه السلام معاصر ليحى فقد ولدا في نفس السنة.

*–لو كان عيسى عليه السلام المقصود لاتبعه يحي وهذا لم يحدث إذ استقل بالوعظ والتعميد واستقبال التلاميذ.

(1)–المرجع نفسه، ص115.

(2)–متى: 11/3.

(3)–أنظر: عبد الأحد داود، مرجع سابق، من ص153 وما بعدها.

*–جاء في الإنجيل أن عيسى عليه السلام تعمد على يد يحى، ولو كان عيسى المقصود فكيف يعمد الأدنى الأعلى لأنه بنص ما جاء أنه قال عن نفسه "لا أستحق حل رباط حذائه".»

إن المقصود من تلك النبوءة هو محمد –صلى الله عليه وسلم– فقد وصفه بأنه أقوى منه فيحي عليه السلام قطعت رأسه أما قوة الرسول –صلى الله عليه وسلم– فتتجلى في دخوله المظفر إلى مكة بعد فتحها وتحطيمه للأصنام، وأعداؤه يطلبون منه العفو ثم يعلنون إسلامهم[1].

2–وجاء في سفر يوحنا «وسوف أطلب من الأب وسوف يعطيكم برقليطوس آخر يبقى معكم إلى الأبد»[2].

لقد جاءت الكتابة اليونانية للبرقليط بصورة parklytos وتعني في الكتابات الكنسية «(شخص يدعى للمساعدة، محام، وسيط) ولكن معنى المغزى التي يفسر بها المسيحيون البرقليط تقابل كلمة parakalon وأيضا paygoytys وليس paraklytos، وبالتالي فالبرقليط ليس المغزى بل الكلمة محذوفة وأصلها periqlytos والتي تعني الأمجد والأشهر والمستحق للمديح وهي تقابل بالعربية اسم أحمد » [3] وهذا ما يوافق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ

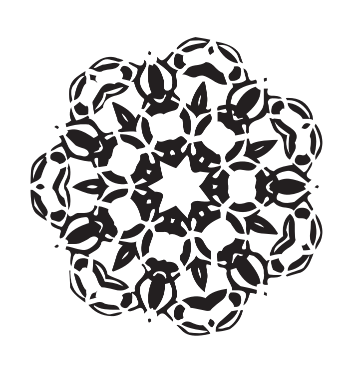
(1)–أنظر: المرجع نفسه، ص163–164.

(2)–يوحنا: 16/14.

(3)–انظر: المرجع السابق، ص192 إلى 197.

ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾(1).

وختاما نقول إن الاسلام دين عالمي ، وله وحده احقية ان ينتشر ويسود واما الشبهات التي يعلنها أعداؤه فلا أساس له وهي مردودة بأدلة دامغة مقتعة لكب عقل يبحث عن الحقيقة.



(1)-سورة الصف:06.